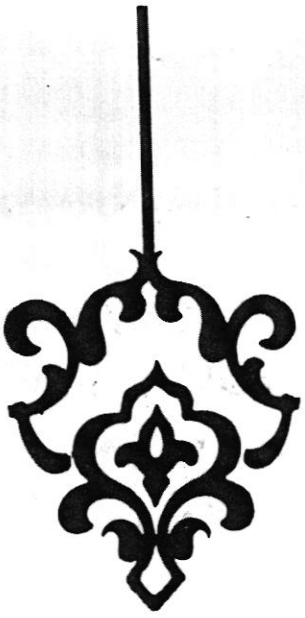

الفصل الثاني

النقد في عصر صدر الاسلام

دراسة حالة النقد في عصر صدر الاسلام تقتضي منا الوقوف على ثلاثة مسائل مهمة تحدد وتوضح حالة الشعر في هذه الفترة والاراء النقدية التي صاحبتها . كما ان دراسة الواقع العربي بعد ظهور الاسلام وانتشاره في الحزيرة العربية يطلعنا على التطور الكبير الذي شهدته الحياة انذاك بكل مظاهرها . فقد شهد العرب نقلة كبيرة اخذت بأيديهم من الواقع الاقليمي المتناحر الى الافاق الرحبة السامقة تحت راية الدين الواحد . والعقيدة الواحدة . وقد ترك هذا التطور اثره الكبير في نفوس العرب افرادا وجماعات بوصفهم حملة الرسالة الاسلامية واصطبغت حياتهم بمبادىء الاسلام . واذا كانت هذه المباديء قد هذبت حياة الافراد وسلوكهم . فأنها وجهت افكارهم وابداعاتهم . والشعر واحد من اهم اوجه الابداع الذي فتنت به العرب وتناشدته في حلها وترحالها . ومجالسها ومسامراتها .

والبحث عن حالة النقد في هذه الفترة يقتضي منا الوقوف عند مفهوم الشعر في الاسلام وفي القرآن الكريم . والحديث النبوي الشريف من الناحية النظرية . ودراسة الواقع الشعري من الناحية العملية .

مفهوم الشعر :

اما مفهوم الشعر ونظرة الاسلام اليه فتبدأ من الايات القرآنية الكريمة ، وتكملها الاحاديث النبوية الشريفة .

نقرأ في القرآن الكريم دفاعاً عن الرسول (ص) وصونا لدعوته ونبوته وتبرئتهَما من التهم التي تخبط المشركون في تخيلها وصوغها . فقد خيل اليهم عنادهم وكفرهم ان مايسمعونه من أي الذكر الحكيم ليس وحيا يوحى وانما هو ضرب مما يعرفونه في حياتهم آنذاك ، فتارة يتهمون الرسول (ص) بأنه كاهن (١) ، واخرى شاعر (٢) ، وثالثة يصفون كلام الله ـ جل وتعالـى ـ بأنه السحر (٣). فجاءت الايات الكريمة معلنة ان ماينطق به الرسول (ص) وحي يوحى ، وهو كلام الله سبحانه وتعالى وقرآنه على لسان نبيه المصطفى ، وليس شيئا مما عرفته العرب من كلام الكهان او السحرة او الشعراء : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين) (وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) (بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر)(٤)

ولا يمكن ان يفهم من هذه الايات الكريمات حط من شأن الشعر والشعراء او نظرة فيها احتقار او سخرية لكونها قد نزهت الرسالة السماوية ان تكون نمطاً من الابداع البشري ، وما الابداع الذي يبهر العرب انذاك الا شعر الشعراء ، وطلاسم السحرة والكهان لان تنزيه الرسول (ص) عن الشعر توكيد لحقيقة الرسالة السماوية التي جاء بها . وليس فيها حط من شأن الشعر والشعراء . وقد تبنى ابن رشيق مثل هذا الموقف حين قال مبيناً عدم حط الايات القرآنية من مكانة الشعر والشعراء قائلاً (ولو ان كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت اميته غضاً من الكتابة(٥)

وقد نفى الله سبحانه وتعالى كون النبي عارفاً للكتابة لئلا يتهم بقراءة كتب الاوليين ولتثبيت حقيقة النبوة وكونها وحياً يوحى .

---

١ . سورة الطور / ٢٩ ، سورة الحاقة / ٤٢

٢ . سورة الانبياء / ٥ ، الصافات / ٣٦ ، الطور / ٣٠ ، الحاقة / ٤١

٣ . سورة يونس / ٧٦ .

٤ . سورة يس / ٦٩ ، الحاقة ٤١ ، الانبياء ، ٢١

(٥) العمدة ١ / ٢١

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون(٦)

وعقد السيوطي مقارنة بين الشعر والموسيقى . وانهما يتفقان بالايقاع . فاما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع . والايقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم(٧)

وقد حاول بعض الباحثين ان يعلل سبب تنزيه الرسول (ص) عن الشعر فرأى ان الشعراء معروفون منذ القدم بالغلو والكذب في تجاوزهم الحق في المديح او في استخدامهم القول اللاذع في الهجاء . وانهم منذ القديم يتعرضون لاعراض الناس وحرماتهم وذلك او بعض ذلك لا يليق بالرسول (ص)(٨) .

ولم يكن الشعراء جميعاً بمثل هذه الصورة المقيتة لينزه عنها الرسول (ص) فللشعر مكانته الكبيرة عند العرب . وللشعراء اهميتهم في القبائل . وما كان جميع الشعراء مادحين مبالغين او هجائين مفحشين . ولكننا نرى ان تنزيه الايات الكريمة الرسول (ص) عن الشعر متأت من ادعاء الشعراء انفسهم بامور غيبية تلهمهم الشعر . كما ادعى الكهان والسحرة ذلك . والشعراء يدعون ان لهم شياطين يوحون اليهم بالشعر مثلما ادعى الكهان ان لكل منهم رئيساً يلهمه الحكم والرأي اذا احتكمت اليه العرب . ومثلما يدعي السحرة بملازمة الارواح والجن لهم . فتنزيه الله سبحانه وتعالى عن ان يكون الرسول (ص) شاعراً مثل تنزيهه تعالى للرسول (ص) من ان يكون ساحراً او كاهناً . فالقرآن الكريم كلام الله انزله على النبي (ص) وهو لا يشبه اي ضرب من ضروب الابداع (ان هو الا وحي يوحى)(٩) .

اما قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات . وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا . وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون(١٠) .

هذه الايات الكريمة فيها رفع لمكانة الشعراء المسلمين قدر ما فيها حط وسخرية من شعراء المشركين الذين لم يلتزموا بمبادىء الحق . والاية هنا لم

---

(٦) سورة العنكبوت / ٤٨

(٧) المزهر ٢ / ٢٩١ . وانظر الاسلام والشعر . يحيى الجبوري ص ٤٢

(٨) الاسلام والشعراء . ٤٢

(٩) سورة النجم / ٤

(١٠) سورة الشعراء/ ٢٢٤

تتحدث عن الشعر بمفهومه العام . انما قسمت الشعراء الى فئتين . الاولى فئة الكافرين والمنافقين ومن يسير على منوالهم والاخرى فئة المؤمنين الذين التزموا بمباديء الاسلام بسلوكهم وتفكيرهم وطرائق تعبيرهم فهؤلاء ثوابهم الجنة لانهم قرنوا القول بالعمل . وحالهم كحال المؤمنين الذين وصفتهم الايات الكريمة بانهم يؤمنون بالله واليوم الاخر . فهي تدعو الشعراء الى اقتران اقوالهم الشعرية بسلوكهم الاسلامي الملتزم . وهذا اول توجيه نلمحه في تأريخ النقد الادبي عند العرب يطالب به الشاعر بسلوك ملتزم بمباديء الخير . ومتصف بالخلق القويم ويعد بالثواب والجنة . اما الاخرون من الشعراء الذين لاراي لهم ولا موقفاً معيناً . يحكم تصرفاتهم وسلوكهم فاولئك من الغاوين الذين يهيمون على غير هدى ولا عقيدة توجه سلوكهم واشعارهم ولا مباديء يخدمون بها الخير والحق .

لقد فهم المفسرون الاوائل ان المقصود من هذه الايات ليس الشعراء عامة وانما هم الذين يذهبون كالهائم على وجهه من غير قصد حائراً عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل فهم يقولون مالا يفعلون بينما استثنت الايات الكريمة الشعراء الذين يذكرون الله كثيراً وينتصرون من هجائهم من المشركين(١١) .

وسنجد دعوة القرآن الكريم هذه التي دعا فيها الى التزام الشعراء جانب الخير والحق يؤكدها الرسول (ص) في اقواله وتوجيهاته العملية للشعر والشعراء وتخط سبيلها في مسيرة النقد عبر العصور التاريخية وتسير جنباً الى جنب مع الاتجاهات النقدية الاخرى التي ستستجد وتظهر في النقد الادبي .

اما الحديث النبوي الشريف الذي يعد المرجع الثاني بعد القران الكريم فنجد فيه اقوالاً للرسول (ص) تسير في اطار مفهوم الايات القرآنية الكريمة السابقة للشعر والشعراء وتصنيفهم صنفين : خير ملتزم بالدين الجديد . ومنحرف لايقدم فائدة ادبية او اخلاقية .

واذا كان بعضهم قد فهم ظاهرة الايات القرآنية الكريمة او قرأها مبتورة واستنتج منها موقفا متعتتا من الشعر والشعراء(١٢) فان الاحاديث النبوية الكريمة قد تحمل على ظاهرة معانيها ويساء تفسيرها ايضا مما يقتضي المناقشة والتحليل .

---

(١١) مجاز القرآن ٢ / ٩١ ، جامع البيان (تفسير الطبري) ٢٩ / ١٢٧ ـ ١٣٠ الكشاف ٣ / ٣٤٣ .

(١٢) راجع على سبيل المثال ، تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ١ / ٣٦ ، تأريخ الشعر العربي البهبيتي ١١٣ ، ١١٤ ، شعر المخضرمين ، الجبوري ٩٥ ، الشاعر الاسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، داود سلوم ١٠ ، شعر العقيدة / ٤٠ ، مقالات في تاريخ النقد داود سلوم ٣٨ ، الشعر العربي بين الجمود والتطور الكفراوي ٣٩ .

روى عن الرسول (ص) : (لئن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلىء شعرا)(١٣)

وقد يفهم من هذا الحديث موقف غير مشجع للشعر والشعراء . الا ان مراجعته في كتب الصحاح تطلعنا على الظرف الذي قيل فيه . وقد ذكره البخاري في باب الادب فيما يكره ان يكون الغالب على الانسان الشعر حتى يصرفه عن ذكر الله(١٤) وذكر الامام احمد ان شاعرا عرض للرسول (ص) فوصفه الرسول (ص) بالشيطان ثم قال الحديث(١٥)

هذا التعليق البسيط يدلنا على ان قول الرسول (ص) السابق لمم يكن مطلقا على جميع الشعراء وأنما هو خاص بنوع معين منهم ولا بد ان يكون الشاعر الذي عرض له قد انشده شعرا يخالف مبادىء الاسلام وقيمه . وقد فهم المتأخرون ان وصف الرسول (ص) الشعر بالقبح ليس عاما فذكروا بأنه (على من غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه واقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن)(١٦)

اما اذا صحت تتمة الحديث على انها (لئن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلىء قيل في هجائي)فأن هذه التتمة تدرج الحديث مع الاية الكريمة (والشعراء ...) ولاتحتاج فيه الى تأويل او تعمق في التفكير . فالنهي يكون منصبا على الشعر الذي قيل في هجاء الرسول (ص) والذي هو بحد ذاته هجاء للاسلام والمسلمين ومجاهر بالعداء للدعوة الاسلامية وقيمها الخيرة وهذا ما اندرج في الاية الكريمة ضمن شعر الشعراء الغاوين .

الشعر والاخلاق :

اما الحديث النبوي الاخر الذي قد يفهم منه موقف نقدي قاس ازاء الشعراء عامة والجاهلية خاصة .. فهو قوله عليه الصلاة والسلام . واصفا امرأ القيس بأنه (صاحب

---

(١٣) فهرس البخاري ٧٥ ، دلائل الاعجاز ١٣ ، العمدة ١ / ٣١ ، وانظر اثر القرآن في الادب العربي ٦ .

(١٤) فهرس البخاري ٣٦٨

(١٥) مسند الامام احمد ٢ / ٨

(١٦) العمدة ٨ ٣١

لواء الشعراء الى النار)(١٧) . او انه (اشعر الشعراء وقائدهم الى النار)(١٨) وفي رواية اخرى تفصيل اكثر لحال امرىء القيس في الدنيا والاخرة :

(ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسي في الاخرة خامل فيها. يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار)(١٩)

واذا اكتفينا بالرواية الاولى بكونها واردة في واحد من كتب الصحاح المعتمدة واستبعدنا الروايتين الاخيرتين الواردتين في كتابين ادبيين فأن وصف امرىء القيس يجعل القارىء في حيرة من امره وعجب قد يقودانه الى فكرة خاطئة عن مفهوم الاسلام للشعر ونظرته الى كبار الشعراء ، فأمرؤ القيس هذا الشاعر الذي شمخ بشعره بين شعراء الجاهلية والاسلام وقدم عليهم بلا منازع وما تزال قصائده النموذج العالي الفريد للقصيدة العربية التقليدية .. يصفه الرسول الكريم بأنه قائد الشعراء الى النار ؟

وهنا لابد ان نقف وقفة تأمل وتحليل . فالرسول (ص) عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت من اقواله واحاديثه اعلى نمط ادبي عرفته اللغة العربية بعد القرآن الكريم . فكيف يتجاهل جمال شعر امرىء القيس ورصانته وجزالته . ويحط من شعره وشأنه فيجعله قائد الشعراء الى النار؟ لابد اذن ان يكون نقده لامرىء القيس نابعا من المفهوم الاسلامي للشعر والشعراء . ويكون حكمه منصبا على جوانب معينة من شعر امرىء القيس اعني بها الصور الوصفية الفاحشة في غزله التي تتنافى مع مبادىء الاسلام ودعوته الى العفة والخلق الكريم . وليس المراد به شعر الشاعر عامة او شخصه على الحقيقة ، لان الحديث الشريف فيه توجيه اخر لشعراء المسلمين ليسلكوا سبل الخير والخلق القويم في اشعارهم اما من كان على شاكلة امرىء القيس في شعره الماجن او غزله الصريح فيكون مصيره النار . ولا يفهم منه ان امرء القيس هنا حامل لواء الشعراء الى النار على الحقيقة ، لانه عاش في الجاهلية ، والاسلام ـ كما هو معلوم ـ يجب ماقبله (٢٠) ، كما قال الرسول (ص) .

---

(١٧) مسند الامام احمد ٢ / ٢٢٨

(١٨) العمدة ١ / ٢١٤

(١٩) الشعر والشعراء ١ / ١٢٦

(٢٠) مسند الامام احمد بن حنبل ٤ / ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

وهكذا يندرج هذا الحديث مع المفهوم الاسلامي للشعر. ويندرج ضمن المبادىء التي دعا اليها الرسول (ص) ووجه المسلمين اليها في حياتهم اليومية ليكون الخير متمثلا في افعالهم واقوالهم .

على اننا نلمح موقفا نقديا من جانب اخر يخص شعر امرؤ القيس . وهو تفضيل امرىء القيس على سائر الشعراء دون تحديد لزمان او مكان فجعله قائدهم ـ وان كان قائداً موديا الى النار . وقد علق دعبل الخزاعي تعليقا « طريفاً » فهم من خلاله رأى الرسول (ص) في تفضيل شعر امرىء القيس من حيث القوة والجزالة والجمال قائلاً (ولا يقود قوما الا اميرهم)(٢١) .

ومثل هذا يمكن ان يوجه قوله (ص) (من قال في الاسلام شعرا فلسانه هدر)(٢٢) بأن المقصود منه الشعر الفاحش البذيء .

وفي رواية اخرى : (من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر)(٢٣) لان الهجاءفي طبيعته قذف وافتراء وهو وتعاليم الدين على طرفي نقيض والاستقامة في السلوك والرقة في الحديث من الامور المطلوبة في اخلاق المسلم وقد وصف الرسول (ص) نفسه بأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا سباباً .(٢٤)

ولا يمكن ان نعقل انكار الرسول (ص) لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي ولا ان يمنح العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول :

(لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين)(٢٥)

وقد قال الخليل بن احمد الفراهيدي : كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام .(٢٦)

فالشعر جزء من حياة العرب ووجودهم . ولا يمكن ان يهجروه في اي حال من الاحوال كما لايمكن ان يدعو الرسول (ص) الى مخالفة الطبيعة العربية

---

(٢١) الشعر والشعراء ١ / ٤٥٩ . النظرية النقدية ص ٦٤

(٢٢) لسان العرب مادة (هدر)

(٢٣) العمدة ٢ / ١٧٠ وانظر الاسلام والشعر ٧٥

(٢٤) صحيح البخاري ـ الانبياء ٢١٤ . الادب ٥٩ . فهرس البخاري ٣٦٢

(٢٥) العمدة ١ / ٣٠

(٢٦) تفسير القرطبي ١٥ / ٥٢ . انظر الاسلام والشعر / العاني

والانسانية لكون الشعر مظهرا من مظاهر الابداع الفكري الانساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح . ويهتز للشعر الجميل . فقد ذكر عنه في قصة احد الوفود بأنه وصف شعر شاعر وكلام بليغ من وفد تميم بقوله :

(ان من البيان لسحرا . وان من الشعر لحكمة)(٢٧)

وروى لحكما ... اي ان يبلغ ببيانه مايبلغ الساحر بلطافة حيلته في سحره(٢٨) فاذا تذكرنا ان كلام الرسول (ص) هذا قد قاله في رجل ذم رجلا ومدحه في آن واحد . عرفنا اعجابه (ص) بالكلام البليغ والقول البين الحسن مما يؤكد كون الرسول (ص) لم يمنع العرب من قول الشعر انشاده وسماعه كما ان مفهوم الشعر مفهوم ينسجم مع ماهو مطلوب من مساهمة الشاعر في خلق الشخصية العربية في اطارها الخير الملتزم .

وهناك اقوال اخرى قد تكون اكثر وضوحا من القول السابق لكونها تبين نظرة الرسول (ص) الى الشعر . وتقسيمه له : ـ

(انما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث)(٢٩)

(انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن ، ومالم يوافق الحق فلا خير فيه)(٣٠)

وفي رواية اخرى تشبه في معناها ماسبق وهي قوله (ص) : ـ

(الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام فأقوال الرسول (ص) هذه تخص الشعر بمفهومه العام لا الخاص . فهو لم يخص به شعر المسلمين دون غيرهم . ولم يقل ان الشعر الجيد هو شعر المسلمين فقط وانما استعمل كلمة الحق بمفهومها العام التي يمكن ان يدرج ضمنها كل شعر يدعو الى الحق والمثل العليا بما في ذلك كل شعر قيل قبل الاسلام وفيه موافقة للحق . فالرسول (ص)

---

(٢٧) مسند الامام احمد ٢ / ٥٩١ ، ٦٢ ، ٩٤ النهاية في غريب الحديث مادة (سحر) وفيه تفسير الحديث ومعنى السحر ، العمدة ١ / ٢٧ .

(٢٨) جمهرة الامثال العسكري ١ / ١٥ ، الجامع الصغير للسيوطي ١ / ١٦٩ وتتمته فيهما (وان من العلم جهلا ، وان من القول عيالا) وفي ادب الدنيا والدين رواية اخرى انظر الاسلام والشعر / الجبوري ٥٢ ، ٥٣ .

(٢٩) العمدة ١ / ٢٧

(٣٠) العمدة /١/ ٢٧

(٣١) الادب المفرد ١٢٥

يوجه انظار المسلمين الى ان الشعر نتاج انساني لكنه ينقسم الى ضربين : الاول لاخير فيه لانه لايوافق اي جانب من جوانب الغير التي يجب ان يدعو اليها الشاعر او ان يشيعها في مجتمعه . والثاني ضرب موافق للحق والخير والجمال فهذا هو النمط الشعري المطلوب وما سواه لافائدة منه . وهو في توجيهه العام ينسجم مع قوله الاخر (ص) .

(بعثت لاتمم حسن مكارم الاخلاق)(٣٢)

فالشعر المتمم لمكارم الاخلاق من هذه الناحية شعر حق وخير وما كان منافيا للحق بمفهومه العام فلا خير فيه .

واذا كان الرسول (ص) في تقسيمه للشعر هنا قد عرفه بأنه كلام فأنه حدده (بالتأليف) الذي يعني فيما يعني انفراده عن الكلام العادي بالنظم والصنعة عكس الكلام المطلق الذي لافن فيه ولا تأليف ولا نظام وسنجد هذا التعريف عند النقاد فيما بعد الا انهم اضافوا اليه عنصري الوزن والقافية . فالشعر عندهم (كلام موزون مقفى) الا ان الرسول (ص) اكتفى بتعريفه بالقول بأنه كلام مؤلف ، لان العرب آنذاك ماكانوا بحاجة الى توضيح ركني الشعر وانهما الوزن والقافية . ثم ان كلامه (ص) منصب على توجيه افكار العرب آنذاك الى ضرورة توجيه الشعر وجهة خير مما يطبق الاية الكريمة الواردة في سورة الشعراء .

ونلمح في حديث اخر تعريفا للشعر فيه اضافة اخرى وهو قوله (ص) : ـ
(الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها)(٣٣) . فقد اضاف الرسول (ص) وصف الجزالة التي تعني فيما تعني المتانة والرصانة وكل ماخلاف الركة(٣٤) . وبذا ميز الشعر من النثر بوصف اسلوبه ومتانته وقوته(٣٥)

وقد يفهم منه جماله وفنه . ثم بين (ص) غاية الشعر بقوله (تتكلم به في بواديها ...) ويشمل هذا ايضاً عموم الشعر الذي قيل في عصر الاسلام وقبله ، فهو

---

(٣٢) الموطأ ، حسن الخلق ، ٨

(٣٣) العمدة ١ / ٢٨

(٣٤) الصحاح مادة (جزل) وفيه اللفظ الجزل خلاف الركيك .

(٣٥) وضع ابن الاثير في المثل السائر ١ / ٢٤٠ الجزل من الالفاظ هو المتين مع عذوبة في الفم ، ولذاذة في السمع

الذي عبرت به العرب عن مشاعرها واحاسيسها في باديتها ، وهو وسيلة خيرة يمكن ان يصل بها الشعراء الضغائن والاحقاد وان يرققوا النفوس ويهذبوها . فغاية الشعر اذن التعبير عن واقع الحياة العربية واصلاح ذات البين بين ابناء العرب ، وكان الشاعر رسول الخير والاصلاح ولسان حال القبيلة والافراد في البادية .

هذا هو تعريف الرسول (ص) للشعر وبيانه لمهمة الشاعر التي جعلها فعالة لخدمة الرسالة الاسلامية من جهة ، ولحمل الرسالة الانسانية في تعبير الشاعر عن واقع حياته من جهة اخرى حيث يصور احاسيسه واحاسيس جماعته والتزامه بالدفاع عنهم ، مما يساعد على تصفية الاجواء الانسانية التي تربط قومه بالمجموعة العربية . وبذا يؤدي الشعر مهمة خاصة واخرى عامة ، فالخاصة تظهر في تصوير المشاعر الفردية والجماعية ، والعامة تتمثل بتوخي الخير والحق بمفهومهما العام ، والدفاع عن الدعوة بشكل خاص .

ان الوقوف عند مهمة الشاعر ، وجدوى الشعر في الحياة امران يشغلان بال الناقد والسامع والشاعر ... والرسول (ص) بتعريفه للشعر قد قدم لنا بعض جوانب هذه الصورة لمهمة الشاعر التي لم يحددها في الدفاع عن الحق او الدعوة فحسب بل جعل مهمته انسانية شاملة كبيرة مؤثرة . اليست مهمة الشاعر كشف جوانب الجمال والوجدان في الحياة ؟ او ان يحرك المشاعر في النفوس فيجعلها تعيد النظر فيما كانت تتصور اعتيادياً او مقبولاً ؟ او ان يلفت انتباه السامع الى امور ماكان يلتفت اليها . فلولا الشعر لافتقدت الحياة الى كثير من معاني الفضيلة والجمال ، ونعني بالجمال مفهومة العام المتمثل بجمال الخلق والمثل الشخصية كالكرم والعفة والصدق لا الجمال بمعناه الحسي وحده فبعض مهام الشاعر بعث الفضائل وحب الحياة من خلال النفس الانسانية السمحة وجمال خلق الله في كائناته البشرية والطبيعية .

والشاعر البدوي حمل هذه المهمة حين اضفى على حياة البادية كل فضائل الخير وكساها مشاعر الحب والحيوية فجعلها محببة الى اهلها جميلة في عيون متخيليها لارتباطها بمثل الخير والحق والفضيلة .

ان مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس احياناً اذا احسن استخدام موهبته الشعرية فكان عنصراً فعالاً في مجتمعه ينير سبل الخير والمحبة والسلام ويحرك مشاعر العطف والحنان والغفو اذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر . والرسول (ص) نفسه قضى حاجات عرضت له شعراً لما اثاره اصحابها من مشاعر المودة والعطف . فشاعر هوازن يستثير عطف الرسول (ص) على اسرى قبيلته بعد معركة حنين بشعر رقيق

(خير صناعات العرب ابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف اللئيم)(٤٠) وقوله :

(نعم ماتعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته)(٤١)

ففي هذين القولين تعريف للشعر ومهمته فهو صناعة يتفنن بها ويميز شاعر عن اخر بمقدار ابداعه واجادته وقدرته على عرض حاجته على صاحب الشأن موقف مشروع لايفهم منه الخليفة عمر تكسباً وذلاً لان الخليفة فعلا قد قضى حاجة اكثر من شاعر عرضت عليه شعراً. فقد صور شاعر من الشعراء بصدق معاناة الانسانية وآلامه بسبب حرمانه من ابنه الذي اندفع مع الفاتحين يحمل راية الجهاد . وقد كان الشاعر شيخاً ضعيفاً لم يقو على تحمل فراق ولده(٤٢) وصور شاعر اخر ضعفه وشيخوخته مطالبا الخليفة عمر بأرجاعه ولده اليه وقد قضى الخليفة حاجة هؤلاء الشعراء بارجاع ابنائهم اليهم واذا كانت المشاعر التي اجادوا تصويرها في اشعارهم لاتمثل ظاهرة في الشعر العربي او الحياة العربية الاسلامية انذاك والتي كان فيها الشباب يتسارعون الى الجهاد فأن باثر الخليفة عند سماعه اشعارهم يدلنا على تطبيقه لمفهوم الشعر ومهمة الشاعر اللذين وردا في اقواله . اما الامام (ع) فقد عرف الشعر بأنه (ميزان القوم او القول)(٤٣) ففيه يوزن ادب الرجال ، وقدرتهم البيانية . وتعرف من خلاله اخلاقهم وقيمهم ومثلهم . وقد نسبت اليه عدة وصايا تأمر بتعلم الشعر وتربط مهمة الشاعر بترسيخ القيم الخلقية وحفظ اصالة الامه بما يسجله الشاعر من انساب قومه وذوي رحمه : ـ

(علموا اولادكم العوم والفروسية وروهم ماسار من الامثال وحسن من الشعر)(٣) .

وهو قول نسب من قبل الى الخليفة عمر . ولا خلاف في هذا لانه يدل في هذه الحالة على فكر مشترك فيما يخص نظرة العرب آنذاك ازاء الشعر ووجوب تعلمه وعده رياضة عقلية يجب تعليمها للشباب مثلما يجب تعليمهم الرياضة البدنية والفروسية والسباحة .

---

(٤٠) البيان ٢ / ١٠٢ ، العمدة ١ / ٦٥ وفي العقد الفريد ٥ / ٢٧٤ خير صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم .

(٤١) راجع في هذا الاغاني ١٣ / ١٩٠ خزانة الادب ٢ / ٥٠٥ ـ طبقات الشعراء ص ٧٣ ليدن .

(٤٢) العمدة ١ / ٢٨ .

(٤٣) البيان ٢ / ١٨٠ .

يستدر عطفه وعفوه ، ويستثير عاطفته بأن يذكره بمرضعته التي ارضعته وهي من بني سعد من هوازن واخواتها اللاتي ينتظرن عفوه ، فيستجيب الرسول (ص) لطلب الشاعر ويعفو عن قومه ويهب المسلمون نصيبهم من الغنائم والاسرى ليردوها الى اهلها(٣٦) .

وضمن هذه الرؤية نستطيع ان ندرج اراء الصحابة وخاصة الخليفتين الراشدين في تعريف الشعر وبيان مهمته . فالخليفة عمر بن الخطاب (رض) وصف بأنه كان من انقد اهل زمانه للشعر وانفذهم فيه معرفة(٣٧) يكتب الى واليه : (مر من قبلك بتعلم الشعر فأنه يدل على مكان الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الانساب (! .

هذا التعريف استمرار لقول الرسول (ص) بأن الشعر تسل به الضغائن وان احسن الشعر ماوافق الحق . فليس كل الشعر منهيا عنه لان مادلّ على مكارم الاخلاق وما كان فيه حكمة وصدق انساني وما حفظ تراث الامة وانسابها فهو مما يجب تشجيعه وتعليمه . وروى عنه ايضاً انه قال : ـ

(علمو اولادكم العوم والفروسية ورووهم ماسار من الامثال وحسن من الشعر)(٣٨)

وقوله : (اروا من الشعر اعفه ، ومن الحديث احسنه ، ومن النسب ماتواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهي عن مساويها)(٣٩) . كما ان بامكان الشاعر عرض حاجته من خلال شعره الانساني الجميل مادام صائنا نفسه عن الذل والصغار فشعره وسيلة لقضاء حاجة في دفع شر او استعطاف لئيم كما يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) :

---

(٣٦) انظر الاسلام والشعر / الجبوري ٦٢ . وانظر تأثره (ص) باشعار قتيلة بنت الحارث حين رثت اخاها الذي قتل مشركاً . العمدة ١ / ٥٦ ، زهر الاداب ٢ / ١٠١ .

(٣٧) البيان والتبين ١ / ٣٤١ ، العمدة ١ / ٣٣ .

(٣٨) البيان ٢ / ١٠١

(٣٩) جمهرة اشعار العرب ٣٦

وقوله : (اروا من الشعر اعفّه ، ومن الحديث احسنه ، ومن النسب توصلون عليه وتعرفون به قرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت . ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهي عن مساويها)(٤٤) وقوله ايضاً : ـ

(احفظ محاسن الشعر يحسن ادبك ، فأن من لا يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ، ولم يقترف ادباً)(٤٥) ففي هذه الاقوال جميعا تبني لمفهوم الشعر ومهمة الشاعر الواردة عند الرسول (ص) ونظرته الى الشعر وتقسيمه له الى ضربين وتشجيع ماوافق الخير . فمفهوم الشعر عند الخليفتين الراشدين يبين انه وسيلة فنية تعبر عن صدق الاحاسيس والمشاعر ويتخذ جانب الخير والفضيلة ليساهم في تهذيب النفوس ، وهو رياضة فنية اخلاقية لابد من وجوده ، كل هذا لا يخرج عن اطار مفهوم الشعر في الاسلام او مفهومه لدى الرسول (ص) .

النقد والواقع الشعري في صدر الاسلام : ـ

ان دراسة الواقع الشعري لمعرفة مفهوم الشعر، ووضع النقد في العصر الاسلامي ينسجم مع الاحاديث النبوية السابقة ، ومع الاية الكريمة التي وجهت الشعراء وصنفتهم صنفين .

لقد ذكر عن الرسول (ص) انه حين اشتدت قريش في حربها للمسلمين وسخرت شعراءها للنيل من الدين الجديد ونبيه الكريم طلب الرسول (ص) من الشعراء نصرته والذود عن دينهم وعقيدتهم قائلا :

(مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم فقال حسان : انا لها ... واخذ بطرف لسانه . وقال : والله مايسرني به مقول بين بُصرى وصنعاء)(٤٦) .

وهكذا نلمح في دراسة الواقع الشعري في عصر الرسول (ص) تشجيعا للشعر والشعراء ، « وتوجيها » نحو الالتزام الديني والخلقي فحين انبرى المسلمون مدافعين عن الدين الاسلامي بكل مايملكونه من طاقة مادية اندفعوا ايضاً للذب عنه

---

(٤٤) جمهرة انساب العرب ٣٦ .

(٤٥) وقد روى مثل هذا القول مع خلاف بسيط عن الخليفة عمر (رض) ايضاً في جمهرة اشعار العرب ٣٦ .

(٤٦) طبقات فحول الشعراء / ١٨١ .

بالوسيلة الاعلامية المعروفة آنذاك وهي الشعر الذي تسير به الركبان ، ويتناشده الناس في مجالسهم ومسامراتهم خاصة ان المشركين قد فطنوا الى اهميته وافادوا منه في نشر معارضتهم للاسلام وهجائهم للرسول (ص) لابد ان يتخذ المسلمون ايضاً الشعر وسيلة من وسائل الدعوة ان لم يكن تعبيراً رائعاً عما تجيش به نفوس شعرائهم من مشاعر الحماس والتأييد للدين الذين آمنوا به . وقد ذكرت اقوال كثيرة شجع بها الرسول (ص) الشعراء الذين سموا فيما بعد بشعراء الدعوة ، حسان بن ثابت ، عبدالله بن رواحة ، كعب بن مالك ، منها :

- لشعرك اجزى عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً .
- هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل .

- اهجهم فوالله لهجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام او غبش الظلام .
- اهجهم ومعك جبريل روح القدس .
- اهجهم انت (والخطاب لحسان) سيعينك عليهم روح القدس .
- اللهم ايده بروح القدس .
- ان روح القدس معك(٤٧)

وقد علق ابن رشيق على هذه الاقوال مدافعا عن مكانة الشعر والشاعر في عصر الرسالة بقوله :(لو انه حرام ما اثابهم ولا امرهم)(٤٨)

ان هذه الاخبار تدلنا على بعد نظر الرسول (ص) وادراكه لاهمية الشعر اذا وجه الى خدمة الدعوة الاسلامية ونشر الخير فقد ذكر انه (ص) نادى يوما عبدالله بن رواحة وهو في المسجد فلما قدم سأله : كيف تقول الشعر اذا قلته؟ فقال عبدالله، انظر في ذلك ثم اقول . فقال الرسول (ص) فعليك بالمشركين .(٤٩)

ولا يفهم من سؤال الرسول (ص) المعنى الحرفي الظاهري للاستفهام المباشر انما اراد (ص) ان يوجه الشاعر عبدالله بن رواحة للدفاع عن الدعوة شعرا . وقد فهم الشاعر قصده فاجابه بأن قول الشعر يقتضي التأمل في المعنى المراد وصفه والقول فيه وهكذا انبرى عبدالله بن رواحة لهجاء قريش والمشركين .

---

(٤٧) مراجع هذه الاقوال في الجامع الصغير ٢ / ٢٠٩ ، البخاري ٢٢ ، المساجد ٢٥ ، وانظر الاسلام والشعر ٤٩ ، ديوان كعب ٧٢ .

(٤٨) العمدة ١ / ٣١ .

(٤٩) الطبقات الكبرى ت ٢ / ج ٣ / ٨١ طبقات فحول الشعراء ١٨٧ ـ ١٨٨ ايمان